الدور التربوى للإمام على بن أبى طالب*

١- المقومات البنائية لشخصية الإمام على

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فهو أول هاشمى يولد من أبوين هاشميين، إذ كان بنو هاشم قد تعودوا أن يصهروا إلى أسر أخرى من قريش، قبل أن يتزوج أبو طالب من بنت عمه فاطمة بنت أسد.(١)

وروت فاطمة أنهاأثناء حملها، قال الرسول ﷺ لعمه أبى طالب : "إن كانت حاملا أنثى فزوجنيها" ، فلما وضعت فى الكعبة، جعلت حملها فى غشاوة، فأمر أبو طالب ألا تفتح حتى يأتى محمد فيأخذ حقه، فلما جاء محمد وفتح الغشاوة، أخرج منها غلاما حسنا فشاله بيده، وسماه عليا، وأصلح أمره، ثم أنه لقمه لسانه فما زال يمصه حتي نام. (٢)

هكذا فتح على بن أبى طالب عينيه أول ما فتحهما على ابن عمه محمد، الذى أصبح فيما بعد رسول الله، ﷺ .. منه تعلم أولى الكلمات، وأولى الخطوات..

وعندما أصابت قريشا أزمة عنيفة، كانت أشد وطأة على أبى طالب لكثرة عياله، فاقترح الرسول ﷺ على عمه العباس الذى كان أيسر بنى هاشم، أن يتكفلا اثنين من عياله، فكان نصيب محمد، عليا، فلم يزل على معه حتى بعثه الله عز وجل رسولا نبياً، فاتبعه على رضى الله عنه، وآمن به وصدقه.

وكان رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة – وهى التعبد قبل أن تفرض

---

* دراسة قدمت وألقيت فى مهرجان الإمام على عليه السلام، لندن، يولية ١٩٩٠ .

الصلاة ليلة الإسراء – خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب فيصليان، فإذا أمسيا، رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.(٣)

نشأ على بن أبى طالب إذن فى حجر النبى ﷺ ، ولم يفارقه حتى اختاره الله إلى جواره، وفى هذا يقول على لقومه :« تعلمون موضعى من رسول الله ﷺ ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره وأنا وليد يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى عرقه، وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطأ فى فعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرنى بهذا الاقتداء». (٤)

وقد بلغ من عمق تأثيرعلى بن أبى طالب على الناس أنه اشترى عبدا، فعلمه الإسلام وأعتقه ولكن العبد لزمه، حتى إذا مات النجاشى ملك الحبشة. واضطربت الأمور من بعده، اكتشف الملأ من الحبشه أن هذا العبد هو ابن للنجاشى قد خطفه تجار الرقيق وهو غلام وباعوه فى مكة، فجأ الملأ من الحبشة يعرضون عليه ملك الحبشة خلفا لأبيه النجاشى، لكنه رفض الملك وآثر البقاء على الإسلام فى صحبة على (٥).

وربما صح من أوصاف على فى طفولته أنه كان طفلا مبكر النماء ، سابقا لأنداده فى الفهم والقدرة، لأنه أدرك فى السادسة أو السابعة من عمره شيئا من الدعوة النبوية التى يدق فهمها والتنبه لها على من كان فى هذه السن الباكرة، فكانت له مزايا التبكير فى النماء كما كانت له أعباؤه ومتاعبه التى تلازم أكثر المبكرين، ولا سيما المولودين منهم فى شيخوخة الآباء.(٦) .

وتدل أخباره كما تدل صفاته – على قوة جسدية بالغة فى المكانة والصلابة على العوارض والآفات، فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض

غير جاهد ولا حافل، ويمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا إلا صرعه، ولم يبارز أحد إلا قتله، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه رجال، ويحمل الباب الكبير يعيى بقلبه الأعداء، ويصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان. (٧)

وكانت شجاعته من الشجاعات النادرة التى يشرف بها من يصيب بها ومن يصاب، ويزيدها تشريفا أنها ازدانت بأجمل الصفات التى تزين شجاعته الشجعان الأقوياء، فلا يعرف الناس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات التى طبع عليها على بغير تكلف ولا مجاهدة رأى، وهى التورع عن البغى، والمروءة مع الخصم قويا أو ضعيفا على السواء، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال. (٨)

وتقترن بالشجاعة – ولا سيما شجاعة الفرسان المقاتلين بأيديهم – صفة لازمة لها متممة لعملها قلما تنفصل عنها، وكأنها والشجاعة أشبه شئ بالنضح للماء أو بالإشعاع للنور، فلا تكون شجاعة الفروسية إلا كانت معها تلك الصفة التى نشير إليها، وهى صفة (الثقة) أو (الاعتزاز)، فهى جزء من شجاعة الفارس المقاتل. (٩)

كان ملاك الأمر فى أخلاق على عليه السلام أنه كان لا يتكلف إظهار شئ ولا يتكلف إخفاء شئ ولا يقبل التكلف حتى من مادحيه، وكانت قلة التكلف هذه توافق منه خليقته الكبرى من الشجاعة والبأس والامتلاء بالثقة والمنعة، وكانت تسلك معه مسلك الحقيقة والمجاز على السواء كأنه يعنى مايصنع وهو لا يعنيه، وإنما يجئ منه على البديهة كما تجئ الأشياء من معادنها. (١٠) بل كانت قلة التكلف هذه توافق منه خليقة أخرى هى قرينة للشجاعة فى نفس الفارس النبيل وقلما تفارقها ونعنى بها خليقة الصدق

الصراح الذى يجترئ به الرجل على الضر والبلاء كما يجترئ به على المنفعة والنعماء، فما استطاع أحد قط أن يحصى عليه كلمة خالف بها الحق الصراح فى سلمه وحربه وبين صحبه أو بين أعدائه، ولعله كان أحوج إلى المصانعة بين النصراء مما كان بين الأعداء، لأنهم أرهقوه باللجاجة وأعنتوه بالخلاف، فما عدا معهم قول الصدق فى شدة ولا رخاء حتى قال فيه أقرب الناس اليه أنه رجل يعرف من الحرب شجاعتها ولكنه لا يعرف خدعتها. وكان أبدا عند قوله : «علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون فى حديثك فضل على علمك، وأن تتقى الله فى حديث غيرك» (١١).

وكان زواج على من فاطمة ابنة رسول الله ﷺ علامة ما بعدها علامة تؤكد ميزة تاريخية تربوية اختص بها الإمام العظيم، وقد تعددت روايات الزواج، لكننا نستطيع رغم هذا أن نعمل العقل لنرجح أى الروايات أقرب إلى المعقول : فمن المعقول مثلا أن يؤثر النبى عليا بفاطمة وهما ربيبان فى بيئة واحدة، ومن المعقول أن يؤثر زواجها من على على مشاركتهما فى بيت أبى بكر وعمر لزوجات الشيخين، ومن المعقول أن يتردد على لخطبتها لفقره، ولا يخالف المعقول ولا المألوف أن يقدم بعد تردد لشعوره بأنه مخصوص بها وأنه ينبغى عليه أن يقطع الشك باليقين ويعمل من عنده مالا بد من عمله ولا يخالف المعقول ولا المألوف كذلك إن يتأخر الزواج إلى ما بعد الهجرة، لأن حياة المسلمين فى مكة - قبل الهجرة إلى المدينة - لم تكن من حياة أمن ولا استقرار، ولم يكن من النادر أن يهاجر المسلمون بزوجاتهم إلى بلد بعيد كالحبشة كلما ملكوا وسائل لهجرة، فمن كان متزوجا قبل اشتداد العنت على المسلمين فلا حيلة له فى الزواج، ومن لم يكن فليس أخلق به من إرجاء الزواج إلى حين. (١٢)

ولما انتظمت الحياة فى السكن الجديد الذى أوى إلى ظل النبى على مثال من حياة النبى فى بيته، ما لبث البيت الصغير أن سعد بالذرية، وقد رزق الابوان الفقيران نصيبا صالحا من البنين والبنات : الحسن والحسين ومحسن، وزينب وأم كلثوم. (١٣).

وكان أسعد ما يسعدان به عطف الأب الأكبر الذى كان يواليهم به جميعا ولا يصرفه عنه شاغل من شواغله الجسام فى محتدم الدعوة والجهاد، وقد أوشكت كل كلمة قالها فى تدليل كل وليد أو الترحيب به أن تصبح تاريخا محفوظا فى الصدور والأوراق. وكان يدلل الطفل منهم ويستدرجه فربما شوهد وهو يعلو بقدمه الصغيرة حتى يبلغ بها صدر النبى، والنبى يرقصه ويستأنسه ويداعب صغره وقصره بكلمات حفظها الأبوان، ولم يلبث أن حفظها المشرقان. وربما شوهد النبى ﷺ ساجدا وطفل من هؤلاء الأطفال راكب على كتفيه، فيتأنى فى صلاته ويطيل السجدة لكى لا يزحزحه عن مركبه، بل وربما كان على المنبر، فيقبل الحسن والحسين يمشيان ويتعثران فيسبقه حنانه إليهما وينزل من المنبر ليحملهما وهو يقول:« صدق الله العظيم، إنما أموالكم وأولادكم فتنة».

وإذا كانت المواجهة بين على عليه السلام ونسله وبين معاوية ونسله قد كان ما كان لها من أثر على حركة التاريخ الإسلامى، فلا بد أن يستتبع ذلك آثار عدة على التاريخ التربوى مما يدفعنا إلى الإشارة إلى بعض النظرات فى موازنة بين الإثنين كوسيطين تربويين، فالها شميون من أرومة واحدة مع الأمويين ترتفع إلى عبد مناف، ثم إلى قريش فى أصلها الأصيل، ولكن الأسرتين تختلفان فى الأخلاق والأمزجة وإن اتحدتا فى الأصول، فبنو هاشم فى الأغلب الأعم مثاليون أريحيون ولا سيما أبناء فاطمة الزهراء ، و بنو أمية فى الأغلب عمليون نفعيون، ولا سيما الأصلاء منهم فى عبد شمس

من الآباء والأمهات.[١٥] ذلك أن بنى هاشم كانوا يعملون فى الرئاسة الدينية، وبنو عبد شمس يعملون فى التجارة أو الرئاسة السياسية، وهما ماهما فى الجاهلية من الربا والمماكسة والغبن والتطفيف والتزييف، فلا عجب أن يختلفا هذا الاختلاف بين أخلاق الصراحة وأخلاق المساومة، وبين وسائل الإيمان ووسائل الحيلة على النجاح.[١٦]

وقد تنافس هاشم وأمية على الزعامة قبل أن يولد معاوية، فخرج أمية ناقما إلى الشام، وبقى هاشم منفردا بزعامة بنى عبد مناف فى مكة، ثم علا نجم أبى سفيان بن حرب بن أمية فى الحجاز فأصبحت له زعامة مرموقة إلى جانب الزعامة الهاشمية، فلما ظهرت الدعوة المحمدية أخذته الغيرة على زعامته، فكان فى طليعة المحاربين للدعوة الجديدة. [١٧]

وكان أمير المؤمنين على عليه السلام، كما يخبرنا هو، يوجه عناية فائقة إلى التاريخ، عناية جعلت من التاريخ عنصرا بارزا فيما وصل إلينا من كلامه فى مختلف الموضوعات التى كانت تثير اهتمامه، وعناية الإمام بالتاريخ ليست عناية القاص والباحث عن القصص، كما أنها ليست عناية السياسى الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه التى يعالج بها تذمر الشعب، وإنما هى عناية رجل الرسالة والعقيدة، والقائد الحضارى والمفكر المستقبلى. [١٨]

والإمام ليس مؤرخا، ولذا فليس من المتوقع أن نجد عنده نظرة المؤرخ وأسلوبه فى سرد الوقائع وتحليلها والحكم عليها، وإنما هو رجل دولة حاكم، ورجل عقيدة ورسالة وهبها كل حياته، فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الإنسان الحاضرة والمستقبلة، لذا فهى تشغل حيزا هاما وعلى درجة كبيرة من الخطورة فى عملية التربية والتحرك

السياسى، وهذا ما يجعل رجل رسالة وحاكما كالإمام على حريصا على أن يدخل فى وعى أمته التى يحمل مسؤلية قيادتها نظرة إلى التاريخ تجعله قوة بانية لا مخربة ولا محرفة (١٩).

كان رجل رسالة هى الإسلام، رسالة استوعبت الحياة كلها : تنظيما وتشريعا ومناهج. وهى رسالة ذات طابع عالمى ممتد فى الزمان إلى آخر الزمان، أراد الله تعالى لها أن تكون دينا للإنسان كل إنسان، تقوده نحو التكامل الذى يحقق له التوازن والتسامى.

وهى رسالة تقوم على العلم والمعرفة، وترفض الجهل لأنه يتيح لأعدائها أن يتسللوا فى ظلماته إلى قلوب أتباعها المؤمنين بها وعقولهم فيشوهون ويحرفون عقائدها وشرائعها ومناهجها، ويضللون بعد ذلك أتباعها المؤمنين بها وذلك حين يلبسون لهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ. (٢٠)

ومن هنا كان من أكبر هموم رجل الرسالة الاستعداد الدائم فى هذا المجال لأجل أن يجعل المسلمين على معرفة كاملة بالإسلام، وفى حالة وعى متجدد ونام لحقيقة الإسلام وجوهره ومناهجه وغاياته ليكون المسلم المستنير بالمعرفة فى حصانة من الحيرة والتضليل، على بينة من أمره، وليكون الإسلام بمنجاة من التشويه والتحريف، ويكون كل مسلم مستنير ديدبانا على دينه الذى هو معنى وجوده وشرف وجوده. ومن هنا كان على عليه السلام فى حركة تعليمية دائمة لمجتمعه وخواص أصحابه الذين كانوا علماء ينشرون علمهم ووعيهم بين الناس بالحديث والخطابة وحلقات الدرس والتعليم. (٢١)

والإمام كمربى أمة، قد فكر فى المجتمعات التى حكمها وفكر فى

أفضل الطرق والوسائل التى تنمى حياتها الإجتماعية وترتفع بها إلى ذروة من الرفاهية والقوة والأمن، مع ملاحظة أنها تدين بالإسلام وان شوون اقتصادها، وحربها، وسلمها، وعلائقها الاجتماعية تخضع لقوانين الإسلام، وأنها يجب أن تأخذ سبيلها إلى النمو فى إطار إسلامى بحت. وقد هداه تفكيره إلى نتائج باهرة فى التنظيم الاجتماعى : فالحكم وضرورته، والنزعة القبلية وعقابيلها، وشغب الغوغاء ونتائجه، ودعامات المجتمع ومقوماته، والطبقات الاجتماعية وآليتها، كل ذلك خصه الإمام بمزيد من البحث والتفكير، وطبق النتائج التى اهتدى إليها على المجتمعات الإسلامية. ولولا أن أعداء شغلوه على أن يفرغ لمهام العمل السلمى لكسب التاريخ الحضارى للمسلمين مكاسب رائعة. (٢٢)

وإذا كان الإسلام قد جعل الفضيلة هى مصدر القيمة الاجتماعية وأراد أتباعه أن يحملوا أنفسهم على هذا المركب صونا للمجتمع من أخطار التفاوت الطبقى، فإنه لم يغفل أمر الواقع النفسى للانسان، ولذلك لم يكل أمر تحقيق القيمة العليا إلى الإنسان وحده، وإنما جعل لها سندا من القانون، ليكون لها من القوة ما يحمل الأغنياء الأقوياء وغير الأغنياء على التمسك بها(٢٣) . فشرع الله تعالى أحكاما تحول دون تكون الثروات بطريق غير عادل وغير مشروع – وتحول بين أصحاب الثروات بعد ان تتكون لديهم الثروة بطريق مشروع وبين أن يستخدموها فى استغلال الآخرين.

ولقد وعى الإمام أن الإنسان الجائع، المستغل، المحروم، المقيد بالأغلال لا يستطيع أن يكن فاضلا، وأن من اللغو أن يوعظ بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وأن إنسانا كهذا ينقلب كافرا كافرا بالقيم، والفضائل والإنسان. ووعى أن المجتمع القائم على سيادة فريق وعبودية فريق، وعلى استغلال الأسياد للعبيد، والأحرار للمقيدين بالأغلال، مجتمع لا يمكن أن

توجد فيه فضيلة ولا يمكن أن يوجد فيه فضلاء، إنه ليس إلا مجتمع لصوص ومجرمين وعبيد، تسير أفراده الأحقاد والمكُر والاستغلال.

على أساس من هذا الوعى جعل الإمام الإصلاح الاقتصادى أساسا للإصلاح الاجتماعى. (٢٤)

٢- التربية : أهمية ومفهوما ووظيفة ومجالا

أهمية العمل التربوى :

إذا كان الإيمان بالله يضع يدنا على معرفة المصدر الأول الذى صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بمصير الوجود ويضع أيدينا على النهاية التى ينتهى إليها الكون، إلا أن الإيمان وحده لا يكفى لتحقيق الارتباط بالله سبحانه بصيغته الصالحة، لأن ذلك يرتبط فى الحقيقة بطريقة إشباع فطرة الإيمان وأسلوب الاستفادة منها كما هى الحال فى كل طاقات الإنسان وقواه واستعدادته الفطرية، فإن التصرف السليم فى إشباعها هو الذى يحقق المصلحة النهائية للإنسان، كما أن السلوك وفقا للفطرة وضدها هو الذى ينمى تلك الفطرة ويعمقها أو يُضمرها ويخنقها، فبذور الرحمة والشفقة تموت فى نفس الإنسان من خلال سلوك سلبى، وتنمو فى نفسه من خلال التعاطف العملى المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء، ومن هنا كان لا بد للإيمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد إلى المطلق، من توجيه يحدد طريقة إشباع هذا الشعور، ومن سلوك عملى يرسخه ويعمقه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصلية فى الإنسان، وبدون توجيه قد ينقلب هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف كما وقع ذلك بالنسبة إلى الشعور ولا يعود الارتباط حقيقة فاعلة فى حياة الإنسان وقادرة على تفجير طاقاته وإمكاناته الصالحة، (٢٥) ومن

هنا تأتى أهمية العمل التربوى فى رسالة الإمام على.

وقد أثر عن الإمام أحاديث عدة فى فضل العلم وقيمته، منها على سبيل المثال قوله لتلميذه كُميل بن زياد : «يا كُميل، احفظ عنى ما أقول لك» الناس ثلاثة : عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، ورعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا نور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق. يا كُميل، محبة العالم دين يدان به تُكسَبه الطاعَة فِى حياتة وجميل الأحدوثة بعد وفاته، فمنفعة المال تزول بزواله، يا كُميل مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة.» (٢٦) وقال كذلك :"الجاهل صغير وإن كان شيخا والعالم كبير وإن كان حدثا" وقال : "لا كنز أنفع من العلم"، وأيضا : "لا علم كالتفكير ولا شرف كالعلم". (٢٧) وقوله : "كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولا أنه يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه". (٢٨)

ولم يقتصر حث الإمام على طلب العلم والتفقه فى الدين على فئة دون فئة، بل شمل جميع المسلمين، يقول الإمام : "أيها الناس، علموا أن كمال الدين طلبُ العلم والعملُ به، وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال. إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه. سيفى لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه، واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب، وإن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب إلى الجنة، والنفقات تنقص المال، والعلم يزكو على إنفاقه". قال ابن عبد البر : إن قول على بن أبى طالب «قيمة كل امرئ ما يحسنه» لم يسبقه إليه أحد. قال : وقالوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، وقد

طار له الناس كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجابا به وكلفا بحسنه.(٢٩)

وقد عبّر الإمام على عن أن العمل التربوى وطلب العلم إنما هو وسيلة لخير الإنسان نفسه ومن أجل صالح البشرية، مما ينحى جانبا القول بأن طلب العلم إنما يكون للعلم نفسه، يقول في ذلك عليه السلام : «فالله سبحانه قبل أن يخلق الإنسان خلق الكون ورتبه أحسن ترتيب ونظمه أجمل تنظيم، ومهد الأرض وأتم مرافقها على أكمل الوجوه، فخلق فيها الهواء الطلق، وأجرى فيها العيون والأنهار وأعد أنواع الأطعمة والأشربة، ومن كل الثمرات، وأنبت فيها النبات والزهر مختلفا ألوانه.. وبعد أن أتمها، وجمع فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين أخرج إليها الإنسان وأسكنه فيها على أن يكون خليفته فى أرضه يحيا فى كنفها ويعيش فى خيراتها ويمضى فى أقواله وأفعاله ونواياه ومقاصده وفق أحكام الله سبحانه وإرادته .. »(٣٠)

واستنادا إلى هذه الثقة بخير الوجود وعدله، وإلى عظمة الحياة والأحياء، يخاطب على بن أبى طالب الأجيال بما يوقظهم على أن الحياة حرة لا تطيق من القيود إلا ما كان سببا فى مجراها وواسطة لبقائها وقبسا من ضيائها وناموسا من نواميسها.

معنى التربية :

عندما نفتش فيما بين أيدينا من النصوص، فإنها قد لا تسعفنا بطريق مباشر فى أن نجد شرحا بالصورة التى نأمل فيها ونتوقعها، لكننا نستطيع بعمليات استدلال واستنباط أن نجد عددا غير هين من النصوص التى تتضمن بعض الدلالات والمعانى التى من شأنها فى المجموع العام أن تشير إلى مفهوم يقرب العملية التربوية من ذلك المعنى الذى يجعلها عملية

تنمية للشخصية الإنسانية فى جوانبها المختلفة، فمن ذلك قول الإمام: «فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر. ويتحير فيه رأيك، ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك».(٣١)

فخلو الإنسان من المعارف حال ولادته يفيد معنى الاكتساب بمرور الخبرات والأحداث عبر حياة الإنسان، وأن هذا الاكتساب لا يجئ سهلا هينا وإنما يقتضى عمليات مجاهدة وبحث، حيث أن الحقيقة لا تستبان لأول وهلة.

والتربية عملية انسانية بالدرجة الأولى حيث خلق الله الإنسان قادرا على التعلم قابلا له بحكم ما فى فطرته من مرونة وقدرة على التكيف، فقد جاء عن الإمام قوله :«إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ماألقى فيها من شئ قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك» وقد تناول الإمام جعفر الصادق هذا المعنى بالشرح والتحليل فكان مما قاله :«.. فصار – أى الطفل – يخرج إلى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شئ وحالا بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته، وإلى الأعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية ويعلل الإمام الصادق ذلك بقوله: «فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قُدر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم» (٣٣) .

وقد أبان الإمام على عليه السلام ركيزتين أساسيتين لا قيام للتربية

بدونهما، ألا وهما ما أسميناه بمرونة الفطرة الانسانية، وكذلك الميل الفطرى لدى الإنسان إلى التقليد، يقول: «يابنى، إنى لما رأيتنى قد بلغت سنا، ورأيتنى أزداد بما فى نفسى، وأن أنقص فى رأيى كلما نقصت فى جسمى، أو يسبقنى إليك بعض غلبات الهوى، وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور»، ومن هنا بدأ بتربيته التربية الصالحة ليوفر له أسس الشخصية السوية . "لتستقبل بجد رأيك ما قد كفاك أهـــل التجارب بغيـــبة وتجربة، فـــتكون قـــد كفـيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة»، (٤) فقد أكد الإمام على أهمية الركيزتين بتعبيره البليغ عن (التقليد) قوله :«فتكون قد كفيت مؤنة الطلب»، ويعنى بذلك أنه سيسأله أو سيسأل غيره حتما فى هذه الأمور، فلذلك بادره هو قبل أن يبادر إليه غيره. وتعبيره عن مرونة الطفل اليافع، قوله «أو يسبقنى إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور، فان قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها شئ قبلته»، مشيرا بذلك إلى فترة النضوج ومرحلة التكامل الانسانى. (٣٥)

والتربية لا بد لها من أساس عقيدى، ونبع تغترف منه ما يعين المربين على سلوك الطريق المستقيم، ومصدر تهتدى بما فيه لتحدد أهدافها وتعين وسائل الوصول إلى هذه الأهداف، ومختلف البدائل تخطط لها فى سبيل ذلك، وغنى عن البيان أن هذا الأساس العقيدى، وذلك النبع الفياض والمصدر الملهم، قائم فى كتاب الله عز وجل: «كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه وفرائضة وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله «ومرسله ومحدوده» ومحكمه ومتشابهه، مفسرا مجمله، ومبينا غوامضه بين مأخوذ ميثاق فى علمه، وموسع على العباد جهله وبين مثبت فى الكتاب، ومعلوم فى السنة نسخه وواجب فى السنة أخذه ومرخص فى الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل فى

مستقبله، ومباين بين محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه وبين مقبول فى أدناه موسع فى أقصاه» (٣٦)

فليس كتاب الله فقط هو الأساس الذى تستند إليه عملية التربية فى الإسلام كما يرى الإمام، وإنما هناك كذلك سنة الرسول ﷺ .

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يشكلان نبع التربية، فإن (خبرة الحياة) وحركة الدنيا مصدر هام لا بد من حسن التعامل معه لتكتمل العملية التربوية، فوفقا لسلوك المتعلم فيها وما يمر به من أحداث تكون حياته، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا :«إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ. بها مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله.اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بنيها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها، وشوقتهم بسرورها إلى السرور ، راحت بعافية وابتكرت بفجيعة، ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا، فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة وذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا» .(٣٧)

وقد حرص الإمام على على أن يوثق الصلة بين التربية النظرية والتربية التطبيقية ببيان أهمية العمل بما نَعلم، ويظهر هذا فيما ورد نقلا عنه حيث قال «الدنيا كلها جهل إلاموضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ماكان مخلصا، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم به» (٣٨). وتجئ كلماته أكثر صراحة فى قوله «العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»، وقوله لجابر بن عبد الله الأنصارى: «يا جابر قوام الدنيا بأربعة : عالم

مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم .. فإن ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ..» (٣٩)

وتلعب الأسرة دورا أساسيا فى تشكيل البذور الأولى للشخصية مما يجعلها أول وأخطر وسيط تربوى بحيث يشكل الوعى بها وبأهميتها مقياسا هاما للحكم على الفكر التربوى فى مذهب من المذاهب أو عند علم من أعلام التربية، ومن هنا نلمس حرص الإسلام على ضمان القواعد الراسخة والأسس القويمة التى لا بد أن تقوم عليها الأسرة بحيث تكون بالفعل خير نموذج يحتذى به الأبناء وأروع قدوة ترسم المنهج المطلوب، قال عز وجل حكاية عن عباده الصالحين الذين يعون ذلك حق الوعى ويسعون بالفعل إلى تحقيقه : «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما»، وفى مقدمة قواعد التربية كما رسمها الإسلام، توجُّه عملياتها التربوية القدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح. (٤٠)

ومن هنا يعتبر الأب هو المسؤول الأول عن تربية أبنائه تربية قويمة حتى يمكن أن يكونوا قرة أعين له فى مقبل الأيام، يقول الإمام على لولده الحسن : «... وجدتك بعضى، بل وجدتك كلى، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى، وكأن الموت لو أتاك أتانى فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ..»، فالولد ليس بعضا من الأب، بل هو نفسه، يحكى وجوده وكيانه، فعليه أن يهتم بشؤونه التربوية، وأن يُعْنى فى تهذيبه وكماله ليكون فخرا له، وفى ذلك يقول الإمام كذلك :«..ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل بين ذى النقية والنية وأن أبدأك بتعليم كتاب الله .. » (٤١)

وظائف التربية :

وهذه الدلالات والمعانى التى تشكل فى مجملها مفهوم التربية كما تبدى فى أقوال الإمام على إنما تشكل (كلاً) يحتاج إلى تخصيص كما يحتاج إلى تفصيل، وهو ما اصطلح علماء التربية وباحثيها على تسميته بـ (وظائف التربية) وهو ما سنحاول أن نقوم به فيما يلى :

١- الوظيفة الإيمانية : فبحكم الموقع الذى احتله الإمام من المسيرة الإسلامية ومن رسول الإسلام، وبحكم طبيعة التربية الإسلامية نفسها، كان من الطبيعى أن تكون الوظيفة الأولى للتربية أن ترسخ إيمان المسلم وتعمقه وتقيمه على قاعدة من الفهم الصحيح والحب العميق الحماس الذى يشكل قوة دفع لا تلين أمام الخطوب، وتستعذب النضال والجهاد من أجل الرسالة الإسلامية تاركة وراء الظهور المنافع الخاصة ونزعات الهوى الشخصى. ومن هنا كانت واجبات الوالدين فى القيام بالمهمة التربوية تنمية المشاعر الإيمانية فى قلب الطفل، ومن هنا أيضا كان من أولى واجبات الآباء والأمهات أن يوقظوا فى أبنائهم فطرة عبادة الله بواسطة العبادات التمرينية فيشجعوهم على اتباع الأوامر الإلهية والارتباط بالخالق العظيم (٤٢).

والإيمان بالله الذى هو الركيزة الأولى لدين الله يحصل بسلوك على مرحلتين : الأولى عقلية وهى إثبات وجود الله، والثانية سمى من الأولى وهى الإيمان بالله. فى المرحلة الأولى يستفيد القرآن الكريم من قوة العقل ويدعو الناس إلى التفكر فى خلق الله وفى النظام الدقيق الذى يسود الكون كى يصلوا من هذا الطريق إلى وجود الخالق الحكيم العالم، مستخدمين فى ذلك الأدلة والبراهين العقلية والعلمية. أما الإيمان بالله فإنه لا يحصل

بمجرد النظر فى قانون العلية بمنظار العقل فحسب، بل يجب أن يسمو هذا الحساب العملى إلى درجة أرقى وينفذ من العقل إلى الروح ويستقر فى القلب، عند ذاك تخرج هذه الحقيقة من صورة الاستدلال العقلى الجاف إلى حالة من الشوق والاندفـــاع : إلى الحب الإلـــهى الذى ينفـــذ فى جميع ذرات وجود الإنسان(٤٣).

ولقد كانت تضحيات الإمام على تسير جنبا إلى جنب مع شجاعته وشهامته، وتبرهن على ثباته واستقامته حتى قال: ما ضعفت ولا جبنت. إن من ينشأ على الإيمان والاستقامة ويستند فى جميع أموره إلى القدرة الإلهية اللامتناهية لا يخاف أبدا ولا يجبن فى موقف مهما كان حرجاً.

لقد شهدت أيام خلافة الإمام فى الكوفة موجة من الاضطرابات والفتن، وفى بعض الأحيان كان يصمم الخوارج فى وضع خطة لاغتياله عليه السلام، ومع ذلك فقد كان يخرج فى أواخر الليل إلى نقطة هادئة من المدينة ويناجى ربه. وكان يخرج (قنبر) الخادم الوفى وراءه حاملا سيفه مختفيا عن أنظار الإمام، وفى إحدى الليالى نظر على عليه السلام إلى خلفه فرأى قنبر، فقال له : يا قنبر، مالك؟ قال . جئت لأمشى خلفك، فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين، فخفت عليك. قال له الإمام : إن أهل الأرض لا يستطيعون بى شيئا إلا بأذن الله عز وجل، فارجع، فرجع. (٤٤)

٢- الوظيفة الثقافية : فالتحليل العلمى الدقيق لحقيقة المجتمع البشرى يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن قوام هذا المجتمع هو ما يحمله أفراده من مفردات وعناصر الثقافة والحضارة، من معارف ومعلومات وعادات وتقاليد ونظم وأنساق وعلوم وفنون. ومن ثم تحرص الجماعة البشرية لأجل استمرارها وتواصل أجيالها، على تواصل واستمرار ثقافتها،

ولا يتأتى هذا إلا بعملية نقل لها من الكبار إلى الصغار، وهذا هو نفسه الذى تقوم به العملية التربوية مما يجعل منها أساسا لوجود المجتمع واستمراره.

والقارئ لكلمات الإمام على يستطيع أن يلمس مدى الوعى بالدور الذى يجب أن يقوم به المربى من حيث نقل خبرات وتجارب وثقافة السابقين إلى الأجيال الجديدة لا لتستوعبها كما هى، وإنما لتنتقى وتختار منها ما يعينها على سلامة المسير وعمق الفهم وسعة الإحاطة : يقول لابنه الحسن :«أى بنى إنى وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى، فقد نظرت فى أعمالهم وفكرت فى أخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأنى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يمنى الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر، ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية». (٤٥)

وللإمام نص هام يتعلق بطريقة وفلسفة النظر فى التراث الحضارى للأمة (٤٦)، نجده يركز على عاملين ثابتين فى طبيعة الحركة البشرية وطبيعة الحياة على هذه الأرض. (٤٧)

١- عامل التغير والتقلب فى الحياة: فالحياة بما هى حركة، وبما هى تفاعل، وبما هى طاقات وقوى تتفاعل فتتكامل أو تتقاتل فى داخل كل شئ ومن حول كل شئ فى الكون المادى كله، الحياة بما هى كل هذا متقلبة متغيرة باستمرار، هى فى حالة صيرورة دائمة لا تستقر على حال ولا تثبت على وتيرة واحدة.

٢- عامل الزمن : فأثر الزمن فى الأشياء والأعمار ظاهر لكل ذى بصيرة، فالزمن يفتت الحياة باستمرار، فما أن يبدأ وجود الحياة فى شئ، بل ما أن يبدأ وجود شئ حيا كان أو غير حى حتى يبدأ الوجود بالذوبان والتفتت والضياع. إن الحياة تولد فى الزمن، ولكن الزمن يغتالها باستمرار.

وهذان العاملان - التغير والزمن - لا يختصان بعالم الإنسان وحده، إنهما يعملان فى كل شئ، ويحولان دون ثبات كل شئ : الجماد، والنبات والحيوان والإنسان، ويتميز الإنسان - بالنسبة إليهما - عن العوالم الأخرى بأنه - لما أوتى من عقل وإدراك - يستطيع أن يعى الوجه المأساوى لعمل هذين العاملين، وأثرهما فى حياته وفى الوجود من حوله. ووعى الإنسان لهذين العاملين وأثرهما فى الحياة والأشياء يجعله قادرا على مواجهة الحياة ومباهجها المؤقتة.(٤٨)

٣- الوظيفة الأخلاقية : فاذا تداعت أخلاق أمة عاجلها الفناء، لذلك اهتم الدين الإسلامى بتقويم الأخلاق اهتماما بالغا فوق حدود التصور والخيال، وجاء بدستور متين لا يضاهيه أى دستور بشرى بأى حال من الأحوال، فقد قال رسول الله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» و (إنما) هذه، (٤٩) هى أداة حصر، أى أن علة بعث الرسل وإرسال نبينا العظيم إنما هى تكميل مكارم الاخلاق وإبلاغ الإنسان إلى آخر حد ممكن من الكمالات الأخلاقية لكى يخرج من هذه الدنيا زكيا نقيا طاهرا حريا ليحشر (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

وكما يسعى الإنسان فى سبيل إحياء مواهبه الفكرية، وإدراك الحقائق العلمية، ويحرز تقدما جديدا فى كل يوم، كذلك عليه أن يسعى فى سبيل

تزكية نفسه وتطهيرها بالفضائل الخلقية، قال الإمام العظيم : «لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا، لكان ينبغى لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح». ولهذا فإن شطرا مهما من سعادة المجتمع مرتبط بالفضائل الأخلاقية، كما أن شطرا مهما من شقاء المجتمع وفساده له ارتباط وثيق بالانحطاط الأخلاقى، يقول الإمام :«رب عزيز أذله خلقه وذليل أعزه خلقه» (٥٠).

ومن هنا كان اهتمام أتباع الإمام على بالتربية الأخلاقية اهتماما كبيرا حتى أوصوا المتعلمين بأن يكون المعلم الذى يقوم بمهمة العملية التعليمية متصفا بالكمالات الأخلاقية، يقول العياشى: «ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخى معلم رشيد عارف بحقائق الأمور مؤمن بيوم الحساب، عالم بأحكام الدين، بصير بأمور الآخرة، خبير بأحوال المعاد، مرشد لك إليها، ومن أنحس المناحى أن يكون ضد ذلك، وأعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة لحياتها، كما أن والدك أعطاك صورة جسدانية فمعلمك أعطاك صورة روحانية، وذلك أن المعلم يغذى نفسك بالعلوم، ويزينها بالمعارف ويهديها طريق الآخرة التى هى دار البقاء والدوام والخلود فى النعيم، واللذة والسرور الأبدى والراحة السرمدية ... واعلم يا أخى أن من سعادتك أيضا أن يتفق لك معلم ذكى، جيد الطبع حسن الخلق، صافى الذهن، محب للعلم، مبغض للرئاسة، قنوع متوكل غير شره، ولا مداهن ولا متعصب، وقد أخذ علمه من العلماء الأخيار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام (٥١).

٤ - الوظيفة العقلية فقد بعث الله محمد ﷺ فى وقت كان الدين فيه مجموعة تقاليد لا يدعمها برهان ولا يسندها دليل وقد انعزل العقل عن التفكير والتعمق والتدبر والسؤال والاعتراض، فى وقت كان شعار الآخرين

فى مشارق الأرض ومغاربها :(اطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى) (٥٢)

جاء الإسلام وهو ينادى بصوت رفيع :(الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له)، وقد نهى عن التقليد الأعمى وعن قبول شئ دونما برهان ودليل، فقال: (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وقال أيضا: ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ تعالوْا إلىٰ ما أنزل اللّهُ وإلى الرَّسُول قالُوا حسْبُنا ما وجدْنا عليْه آباءنَا أَو لَوْ كَان آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شيئا ولا يهتدُون﴾ (٥٤).

والهدف الذى يرمى إليه الإسلام من ذلك، تكوين العقل الاستدلالى أو البرهانى عند الإنسان، فلا بد فى رأى الإسلام لإنشاء الفكر الحر أن ينشئ فى الإنسان العقل الاستدلالى الذى لا يقبل فكرة دون بحث ولا يؤمن بعقيدة ما لم تحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعى ضمانا للحرية الفكرية وعاصما للإنسان من التفريط فيها بدافع من التقليد أو التعصب أو الركون إلى الخرافة. وفى الواقع أن هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلى للإنسان، فهو كما حرر الإرادة الانسانية من عبودية الشهوات، كذلك حرر الوعى الإنسانى من عبودية التقليد، وبهذا وذاك أصبح الإنسان حرا فى تفكيره وحرا فى إرادته. (٥٥)

إن العقل ينمو على أثر التوجيهات الصحية، ويظهر كماله بصورة تدريجية، ولهذا فالإسلام يعتبر التفكير واستخدام العقل والتدبر فى عوالم الطبيعة أعظم العبادات، وقد ورد بهذا المعنى روايات وأقوال، من ذلك قول الإمام على يوصى ولده الحسن: «.. يابنى ، لا فقر أشد من الجهل ، ولاعدم أشد من عدم العقل .. ولا عبادة كالتفكر فى صنعة الله عز وجل .: يابنى ، الفعل خليل المرأ.. إنه لابد للعاقل من أن ينظر في شأنه ، وقال أيضا : لا

غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالأداب ، وقوله : « لا علم كالتفكر » ولا شرف كالعلم» (٥٦).

وإذا كان التفكير يلعب الدور الأكبر فى الحياة الاجتماعية، وإذا كان نوعه يتحدد بنوع هذه الحياة، وبالإطار الفلسفى الذى يوجهها فى هذه الناحية، فإنه يوفر للتربية مناخا صحيحا ملائما للنمو السيم. (٥٧). ومن هنا نجد الإمام على يقول : «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة»، ويقول أيضا :«من صحب جاهلا نقص عقله»، وجاء عن الإمام الصادق قوله : «كثرة النظر فى العلم يفتح العقل» (٥٨).

مجالات التربية :

ولعلنا نستطيع من خلال التعرف على مفهوم ومعنى التربية وكذلك من خلال استقراء وظائف التربية كما تبدت لنا من قراءة أقوال الإمام على عليه السلام أن نقف على الآفاق والمجالات التى يجب أن يقتحمها المربى والباحث فى التربية والعامل بها، وعلى سبيل المثال، إذا كانت الوظيفة الإيمانية لها مالها من الأهمية والاعتبار فى التربية الإسلامية عند الإمام على يصبح من الطبيعى أن يكون القرآن وتكون السنة النبوية من المجالات الأساسية الأولى لكل عامل فى حقل التربية الإسلامية، وما يرتبط بهما من دراسات وبحوث. ونفس الشئ يمكن الإشارة إليه بالنسبة للوظيفة الثقافية من حيث ما تقتضيه من دراسات تاريخية وحضارية واجتماعية وأنثروبولوجية وجغرافية وفنية وأدبية، وكذلك الأمر بالنسبة للوظيفة الأخلاقية من حيث ما تقتضيه من دراسات اجتماعية وفلسفية ودينية وتدريب عملى وسلوك فعلى ودراسة للعبادات الدينية. أما الوظيفة العقلية، فهى إذ يمكن أن تتخلل - كمنهج - مختلف المجالات والآفاق السابقة، إلا أنها يمكن

أيضا أن تتحقق من خلال دراسة الفلسفة وعلوم النفس والمنطق ومناهج البحث والرياضيات.

الارتباط وثيق إذا بين (الوظائف) و (المجالات)، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نضع أيدينا على عدد آخر من الآفاق والمجالات يكمل ويفصل ويحدد ما قد أوضحناه.

١- الدراسات الفلسفية : فمن خلال اهتمام الإمام على ببعض موضوعاتها ومباحثها نستطيع الاستدلال على ضرورة العناية بها، ويذكر أبو زهرة أن الكلام فى القدر كثر فى عهد الإمام، وكان هـو الذى يرد الشبهات ويكشف الغمة عن إدراك كل ما يلتبس عليه الأمر ويتحير (٥٩). ولم يكن أبو زهرة هو الوحيد الذى أشار إلى ذلك، فقد شاركه الرأى محمود حب الله إذ أكد أن المشكلة لم تأخذ شكلا واضحا إلا فى زمن (على) الخليفة الرابع، وكان الجواب عنها - أى مشكلة حرية إرادة الإنسان - وخاصة عند مريديه ومن قبلهم عنده هو نفسه، تأكيدا لاختيار الانسان (٦٠) أما السيد أمير على ، فقد ذكر كذلك : « وأول من تكلم في حرية الإنسان فى أفعاله رسول الله ﷺ ثم على بن أبى طالب ...» يهدينا إلى الرأى الإسلامى الصحيح فى موضوع الحرية الانسانية ... (٦١). ولفت عمارة النظر إلى أن القائلين بالعدل والتوحيد سواء منهم المعتزلة أو الذين وقفوا فى الإمامة والسياسة مع فرق الشيعة يذكرون الكثير من الأقوال والمواقف التى تثبت اشتراكه - أى الإمام على - فى هذا الصراع الفكرى حول الجبر والاختيار، ووقوفه إلى جانب القول بحرية الانسان . (٦٢)

ومن المسائل الفلسفية كذلك التى تكشف عن الاهتمامات الفكرية للإمام على مسألة الصفات المتعلقة بذات الله ووحدانيته، فقد كان ينكر كل

معنى من معانى التشبيه فى عبارات قوية (٦٣).

٢- الدراسات اللغوية : ويأتى فى مقدمتها علم النحو الذى ترجح روايات عديدة أن يكون أبو الأسود الدؤلى هو مؤسسه ومنشئه. وبالإضافة إلى هذا فإن هناك روايات أخرى تشير إلى أن أبا الأسود نفسه قد تلقى الإرهاصات والبذور الاولى من الإمام على، فهذا ابن الأنبارى يكتب :«إعلم .. أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحدده حدوده، أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلى ». وعلى نفس النهج سار القفطى الذى أشار إلى أن الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه. وروى عن الدؤلى قوله أنه دخل على الإمام فرآه مطرقا مفكرا، فلما سأله عما يفكر فيه، أجاب عليه السلام أنه سمع لحنا فأراد أن يضع كتابا فى أصول العربية، فكان رد الدؤلى أنه لو فعل هذا أبقى فى المسلمين هذه اللغة العربية، ثم أتاه بعد أيام فألقى إلى الدؤلى صحيفة فيها. «بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف..»(٦٤)

٣- الدراسات القرآنية : وفى مقدمتها علم التفسير، حيث تذكر روايات اهتمام الإمام به ضمن عدد آخر من صحابة رسول الله ﷺ مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، حتى ليعدهم البعض مؤسسى مدرسة التفسير فى الإسلام (٦٥). وقد ورى عن الإمام على قوله للمسلمين : سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أو بنهار أم فى سهل نزلت أم في جبل...» (٦٦)

٤- الدراسات التاريخية : ولقد سبق لنا أن بينا اهتمام الإمام الواضح بدراسة التاريخ دراسة تقوم على الاستيعاب والوعى. ومن المؤكد إن الإنسان العربى الجاهلى - قبل الإسلام- كان يعوزه الوعى التاريخى بالمعنى الذى عرفته الشعوب المتحضرة ذات الثقافة المدونة، وذات المؤسسات السياسية والإدارية الراسخة العريقة، هذا فضلا عن أن يكون الوعى التاريخى بالمعنى الذى عرفه إنسان العصور الحديثة قد وجد لدى الانسان العربى الجاهلى قبل الأسلام(٦٧). ولكن الحال تغير بعد ظهور الإسلام، إن القرآن الكريم والسنة الشريفة النبوية قد كشفا للعربى تدريجيا عن عمقه فى الزمان باعتباره مسلما، وغدا القرآن والسنة يغذيان على مهل وعى المسلم بعمقه التاريخى من خلال القصص الذى يؤرخ للأمم الماضية وأنبيائها ومواقفها منهم باعتبارهم أنبياء وحالات ازدهارها وانحطاطها وفنائها.

وللتاريخ وظيفة تتعدى شعورنا بالاستمرار والديمومة، وهذه الوظيفة تربوية أخلاقية، ولا يعنى هذا أن التاريخ يتحول إلى مادة وعظية فقط، فإن البحث والنقد غرضان من أغراض التاريخ بلا شك، ولكن الوظيفة النهائية بعدهما هى، كما نؤكد كثيرا تربوية أخلاقية (٦٨). وهذه الوظيفة تستمد معالمها وطبيعتها من طبيعة النهج الذى تسلكه الأمة فى بناء نفسها للقيام به فى محيطها الإقليمى أو على المستوى العالمى، ولذا نرى أن كل أمة ذات نهج فكرى مميز لشخصيتها تجعل التاريخ مادة بانية لهذا النهج الذى ارتضته.

ومن هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس، كان الإمام على عليه السلام يتعامل فى توجيهه الفكرى، وفى وعظه، وفى تعليمه وتوجيهه السياسى مع التاريخ، وكان يوجه المسلمين إلى أن يعوا التاريخ على هذا الأساس، وأن

يتعاملوا مع التاريخ من هذا المنطلق الذى يخدم الأخلاقية والرسالة.

٥- الرياضيات والعلوم : فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله « علمنى رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لى من كل باب ألف باب». إن هذا النوع من التعليم لا يتوصل اليه إلا من زوال التزكية، تزكية النفس وتطهيرها، ولا يعلم كيفية انفتاح ألف باب من العلم من كل باب إلا من أيقن أن العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء، وذلك بتطهير نفسه من الدنس والرجس، وما أصعب ذلك ولا يقوى عليه إلا الأقلون [٦٩]. وقد قال الله عز وجل :(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور). وقد أورد بعض الباحثين عددا من الأمثلة التى رووا فيها كيف أن الإمام قد استطاع أن يحل ما عرض عليه من مسائل رياضية بطريقة فريدة قد لا تتماثل مع الطرق القائمة لدى علماء الرياضيات المتخصصين، لكنها على أية حال تصل إلى الحل من باب آخر هو صحيح. ولا يتسع المقام لذكر العديد من هذه الأمثلة، فليرجع إليها من يريد الاستزادة، وسوف نكتفى بمثال واحد.[٧٠]

رجلان : ا، ب، كان لأحدهما (أ) خمسة أقراص من الخبز وللآخر (ب) ٣ أقراص، فجاءهم رجل ثالث وأخذ يأكل معهم، فلم يبق شئ، ودفع إليهم بعد الانتهاء ٨ دراهم، فقال (أ) لـ (ب) : خذ أنت ٣ دراهم واعطنى ٥، فأجابه (ب) : لا، أبيت إلا العدل ومر الحق، خذ ٤ واعطنى ٤ دراهم، فأجابه (أ) قائلا: كان لى ٥ أقراص وكان لك ٣، فكيف تأخذ نصف المبلغ، فأجابه (ب) : لنتحاكم عند على عليه السلام.

فجاءا عليا (ع) وعرضا عليه القضية، فخاطب الامام الرجل (ب) وهو الذى كان معه ثلاثة أقراص قائلا اقنع بما منحك صاحبك (أ). واقبل منه ٣

دراهم، فقال (ب) : لا والله، لا رضيت منه إلا بمر الحق، فقال على : وليس لك فى مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة. فقال (ب) : سبحان الله يا أمير المؤمنين، هو (أى ا) يعرض على ٣ دراهم فلم أرض، وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول لى الآن : لا يجب لى فى مر الحق إلا درهم واحد؟إن عليا عليه السلام لم يفكر كما يفكر الرياضيون فى حل المسألة وإنما ارتجل ارتجالا بنهج غير مألوف، يمكن التحقق من نتيجته بالنهج الرياضى المعتاد.(٧١)

وروى البعض عن الإمام قوله : (فى التجارب علم مستأنف)، فهو بهذا القول يوجه الأنظار إلى قيمة الطريقة التجريبية فى البحث والنظر. كما روى عنه أنه سئل عن وزن فيل فطبق عليه المعنى المستفاد من قانون الطفو فى الفيزياء، وسئل عن ثقل قيد فى رجل أحدهم فعين ثقله دون إخراج القيد من رجل الرجل ... إلى غير ذلك من أمثلة لا يستطيع الباحث أن يؤكدها مكتفيا بنسبتها إلى راويها.(٧٢)

٦- الدراسات الأدبية : فيرى العقاد أنه رضي الله عنه كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه، وكان نقده للشعراء نقد عليم بصير يعرف اختلاف مذاهب القول واختلاف وجوه المقابلة والتفضيل على حسب المذاهب. ومن بصره بوجوه المقابلة بينهم أنه سئل : من أشعر الشعراء ؟ قال . «إن القوم لم يجروا فى حلقة تعرف الغاية عند قصبتها، فإذا كان ولا بد فالملك الضليل». وهذا فيما يؤكد العقاد أول تقسيم لمقاييس الشعر على حسب (المدارس) والأغراض الشعرية بين العرب، فلا تكون المقابلة إلا بين أشباه وأمثال ولا يكون التعميم بالتفضيل إلا على التغليب.(٧٢)

والكلم الجوامع أو فرائد الحكمة فهى تسجل للإمام فى ثقافة الامم

عامة كما تسجل له فى ثقافة الأمة الإسلامية على مر العصور، فالكلم الجوامع التى رويت له طراز لا يفوقه طراز فى حكمة السلوك على أسلوب الأمثال السائرة، وقد قال الرسول -ﷺ- : «علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائل» ، فهذا الحديث الشريف أصدق ما يكون على الإمام على فى حكمته التى تقارن بحكم أولئك الأنبياء فهى من طراز الحكم المأثور عن أشهر أولئك الأنبياء بالمثل السائر وهو سليمان بن داود. يريد عليها أنها أبدع فى التعبير وأوفر نصيبا من ذوق الجمال كقوله مثلا: (من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة)، أو قوله (نفس المرء خطاه إلى أجله) أو قوله (المرء مخبوء تحت لسانه) أو قوله : (الحلم عشيرة) (٧٣).

٧-الدراسات التربوية والنفسية: فمعظم، إن لم يكن كل، ما أثر عن الإمام فى مختلف المواقف إنما له دلالاته التربوية والنفسية مما يشكل فى جملته قدوة رائعة تؤكد لنا جميعا أهمية وضرورة الدراسة التربوية والنفسية، ويطول بنا المقام لو حاولنا أن نوفى هذا الجانب حقه من البحث والدراسة، ويكفينا هنا أن نشير إلى موقفه المتوازن بين الدنيا وأن نغل غرائزنا وشهواتنا عن الإنطلاق. إن التحرر عن طريق الحرمان شئ عظيم ونبيل، ولكن أكثر الناس لا يستطيعونه، ولا يقوون علي احتماله. فهاهو عليه السلام يقرر فى إحدى كلماته المضيئة الهادية عقم كل محاولة ترمى إلى اقتطاع الانسان من واقعه : واقع جسمه وغرائزه ورغباته كإنسان، وواقع حياته ذات المطالب والحاجات، وواقع كينونته الاجتماعية. (٧٤)

يقرر عليه السلام عقم كل محاولة ترمى إلى اقتطاعه من هذا الواقع بالتنكر لغرائزه ورغباته وحاجات حياته، ولكن لماذا؟ لأن أسر هذه الغرائز والرغبات مودع فى طبيعة الإنسان، ولا يسعه التفلت من أسرها إلا بالاستحالة إلى ذات أخرى. قال عليه السلام (الناس أبناء الدنيا ولا يلام

الرجل على حب أمه). كنى بذلك عن أن دوافع الانسان إلى إجابة حاجات نفسه وشهواتها مودعة فيه، وإذا كنت مودعة فيه فهى جزء من كيانه، وهى تسهم فى حبك جزء من نسيج وجوده الإنسانى، ولذلك فهو يحبها ويقبل عليها، ويأخذ بحظ منها، ولكن لا لوم عليه فى ذلك، فهو حينما يقبل عليها إنما يلبى بإقباله هاتفا ملحا لا قبل له بكتم صوته. (٧٥)

وكما قلنا فى مستهل الحديث فى هذا الجزء، أن تلك أمثلة ونماذج لآفاق نستدل من خلالها على أهمية اقتحام مثل تلك المجالات دراسة وبحثا، تعليما وتعلما.

٣ - الآثار التربوية للإمام على في الحضارة الإسلامية

نحن نعترف بداية أن العنوان الذى يحمله هذا الجزء من الدراسة هو (أكبر) من مضمونه (مضمون الدراسة) ، ذلك أن استقصاءه. مهمة عسيرة شاقة تحتاج إلى نفر من الباحثين يستغرقون زمنا طويلا ، ويستغرق ما يصلون إليه من نتائج ربما أضعاف صفحات هذه الدراسة في مجملها ، لكننا كما نشير في أكثر من موضع ، لا نستهدف دائما (استيفاء) ما نطرق من موضوعات استيفاء كاملا وإنما نحن (نثير) من القضايا أكثر مما نسوق الرأي الفاصل والنتيجة القاطعة ، وحسبنا من مهمتنا هذا الهدف، آملين أن يخطو باحثون آخرون خطوات تفصل وتشرح وتتعمق مثل هذه القضايا المثارة من خلال دراستنا .

أولا : التشيع والشيعة فى أصل معناها اللغوى إتباع الرجل وأنصاره ، وقد غلب هنا الإسم على من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما خاصا لهم ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه من شيعة (على) عليه السلام ، وفي القرآن الكريم في سورة الصافات ، آية ٨٣ : (وإن من شيعته

لإبراهيم) ، وقال تعالى فيما اقتضته من خبر موسى بن عمران عليه السلام في سورة القصص ، آية ١٥ (هذا من شيعته وهذا من عدوه). ويقول الشيخ محمد أبو الحسن بن موسى النوبختى في كتاب الفرق والمقالات (أصول الفرق أربع ومنها الشيعة ، فالشيعة هم فرقة على بن أبي طالب المسمون بشيعة على (ع) في زمن النبى (ص) منهم المقداد بن الأسود الكندى وسلمان الفارسى وأبو ذر جنادة وعمار بن ياسر ومن وافق مودته مودة على (ع) وهم أول من سمى باسم التشيع في هذه الأمة لأن اسم التشيع قديما كان لشيعة إبراهيم) . وذكر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مله ونحله (والشيعه هم الذين شايعوا عليا (ع) وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية إما جليا وأما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بقية من عنده). (٧٤)

والشيعة كما هو معروف يعتقدون أن ما يقوم عليه الإسلام أصول ثلاثة : توحيد الله – نبوة خاتم الأنبياء (ص) – المعاد في يوم الجزاء ، وأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين وهى كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) وأن من قالها كان مسلما فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم وأن قوام مذهبهم بإضافة أصلين إلى الأصول الثلاثة وهما : عدل الله – إمامة الأئمة من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم .(٧٥)

وغنى عن البيان ما احتله الشيعة من مساحة معتبرة في التاريخ الحضارى للأمة الإسلامية، فمن عدد كبير من العلماء إلى عدد آخر من الفلاسفة والفقهاء والمربين ، صالوا وجالوا في آفاق البحث في مختلف العلوم والفنون ، وتركوا من الآثار الفكرية والعلمية ما لا يستطيع أحد أن ينكره حتى من قبل من ناصبوهم العداء. وهم بحكم (المذهبية) كان لابد أن يتوسلوا بالتربية والتعليم لنشر مذهبهم والدعوة له حيث أن أمرا مثل هذا

لا يتأتى بالعنف والقوة، وإنما هو بالإقناع والاقتناع والتمثل ، مما مكنهم من أن يتركوا بصمات واضحة على حركة التربية الإسلامية .

ثانيا : المدارس العلمية فقد مربنا كيف أرسى الإمام على عددا هاما من البذور التى أنبتت فيما بعد مدارس علمية في فروع شتى من المعرفة . وإذا كانت عنايتنا في الجزء السابق قد اتجهت إلى الكشف عن بعض جهود وأقوال الإمام العظيم ، يصبح من المهم في الجزء الحالى أن نشير إلى أمثلة من الرواد الأوائل الذين تتلمذوا على يديه وقبسوا من نور علمه. وليس من الضروري أن يكون تتلمذ هؤلاء قد جاء مباشرا في كل الأحوال ، إذ أن المبادئ التى وضعها الإمام على ، والطاقة التى فجرها والنهج الذى دا عليه ، قد حفز كثيرين إلى أن يشقوا طريقهم على طريق المعرفة والعلم والتربية .

وأبرز من يحسن التنويه به في هذا المقام هو الإمام جعفر الصادق . فقد انصرف إلى العلم انصرافا كليا ، فلم يشغل نفسه بدعوة للخلافة ، ولا قيادة لأتباعه ليقضوا على سلطان الأمويين ، ولا سلطان العباسيين كما فعل أولاد عمومته محمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبدالله ، بل انصرف للعلم بكليته ولم يذكر اسمه في الأحداث التى وقعت في عصره الإ إذا كانت ألما أو أسفا أو حزنا على الذين يقتلون من أئمة الهدى من ذوى قرباه. (٧٦)

وسواء كان انصرافه عن الإمرة وشدائدها تقية كما يقول الإمامية ، أم كان رغبة في العلم كسائر الأئمة كما يقول الجمهور ، فقد عكف على العلم عكوفه على العبادة ، وتلازم علمه مع عبادته ، حتى ما كان يرى إلا عابدا أو دارسا أو قارئا للقرآن ، أو راويا للحديث ، أو ناطقا بالحكمة التى أشرق بها قلبه واستنارت بها نفسه .

وقد كان مخلصا في طلب العلم ، لا يطلبه ليستطيل به على الناس ، ولا ليمارى ويجادل، بل ليبين الحقائق سائغة ، وقد كان يحدث تلاميذه واللائذين به والطائفين حول رحابه على الإخلاص في طلب العلم فكان يقول "لا تطلب العلم لثلاث : لترائي به ، ولا لتباهي به ، ولا لتمرى به . ولا تدعه لثلاث : رغبة في الجهل ، وزهادة في العلم ، واستحياء من الناس ".(٧٧)

وتد خاض في عدة علوم ، وبلغ في أكثرها الذروة ، فهو نجم بين علماء الحديث ، وساد علماء عصره في الفقه حتى أنه كان يعلم اختلاف الفقهاء ، وكان العلماء يتلقون عنه التخريجات الفقهية وتفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام الفقهية ، وكان يحث أصحابه ومريديه على طلب الفقه لأنه علم الدين .(٧٨) ولقد اشتهرت مناظرات الإمام الصادق حتى صار مصدرا للعرفان بين العلماء وكان مرجعا للعلماء في كل ما تعضل عليهم الإجابة عنه من أسئلة الزنادقة وتوجيهاتهم ، وقد كانوا يثيرون الشك في كل شئ ، ويستمسكون بأوهي العبارات ليثيروا غبارا حول الحقائق الإسلامية والوحدانية التى هي خاصة الإسلام . (٧٩)

وقد كان رضى الله عنه مهتما بدراسة الكون وما اشتمل عليه ، ويذكر الباحثون أن جابر ابن حيان نشر خمسمائة رسالة ذكر فيها أنه تلقاها عن أستاذه الصادق ، وقد أكد هذا المؤرخ المعروف ابن خلكان . (٨٠)

ثالثاً : الأراء التربوية : فهناك عدد من العلماء والمفكرين الذين ساروا على درب الإمام فاجتهدوا في مجال الرأى التربوى وأثمر اجتهادهم عن آراء لها قيمتها بالنسبة للعمل التربوى فمن ذلك الكتيب المنسوب إلى نصير الدين الطوسى بعنوان (آداب المتعلمين).

ومما ورد فيه تأكيد (وجوب) العلم على المسلم ، فالعلم الذى يفترض

على المكلف بعينه يجب تحصيله وجبره عليه إن لم يحصل ، والذي يكون الاحتياج به في الأحيان فرض على سبيل الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وإن لم يكن في البلد من يقوم به اشتركوا جميعا بتحصيله بالوجوب "، فينبغى لطالب العلم أن لا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرها في أولها وآخرها ، فيستجلب مما ينفعها ويجتنب ما يضرها لئلا يكون عقله وعمله حجة عليه فتزداد عقوبته " .(٨١)

وأوجب الطوسى على طالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه وما يحتاج إليه في أمور دينه في الحال ، ثم ما يحتاج إليه في المآل ، ويقدم علم التوحيد ، ويعرف الله تعالى بالدليل ، ويختار العتيق دون المحدثات ، ويختار المتون لا الحواشى ، وأما اختيار الأستاذ فينبغى أن يختار الأعلم والأورع والأسن، وينبغى أن يشاور في طلب أى علم يراد في المشى إلى تحصيله ، وإذا دخل المتعلم إلى بلد يطلب العلم فيها ألا يتعجل في الاختلاط بالعلماء قبل أن يستوثق من حسن الاختيار . (٨٢)

ونصح الطوسى طالب العلم بالجد والمواظبة والملازمة ، قيل : من طلب شيئا وجدّ وجد ، ومن قرع بابا ولجّ ولج ، وقيل : بقدر ما سعى ينال ، وقيل : يحتاج في التعليم إلى جد الثلاثة : المتعلم ، والأستاذ ، والأب إن كان في الحياة . ولابد لطالب العلم من المواظبة على الدرس ، والتكرار في أول الليل وآخره ، فإن بين العشائين ووقت السحر وقت مبارك .(٨٣)

ولابد لطالب العلم من المطارحة والمناظرة ، فينبغى أن يكون بالإنصاف والتأنى والتأمل ، فيحترز عن الشغب والغضب ، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك إنما يحصل بالتأمل والإنصاف ، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب والمشقة،

وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيه تكرارا مع زيادة ، قيل : مطارحة ساعة خير من تكرار شهر ، لكن إذا كان مع منصف سليم الطبع. وحذر الطوسى من المذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فإن الطبيعة مسترقة والأخلاق متعدية ، والمجاورة مؤثرة ".(٨٤)

وينبغى أن يكون صاحب العلم مشفقا ناصحا وغير حاسد ، فالحسد يضر ولا ينفع ، بل يسعى بنية التحصيل ، وينبغى على المعلم أن يحفز تلاميذه على أن يتفوقوا على غيرهم من طلبة العلم . وينبغى لطالب العلم أن لا ينازع أحدا ولا يخاصمه لأنه يضيع أوقاته ، فالمحسن سيجزى بإحسانه والمسئ ستكفيه مساءته. (٨٥)

وأوجب مفكرنا على طالب العلم أن يكون مستفيدا في كل وقت حتى يحصل له الفضل . وينبغى لطالب العلم أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم ، ولا يتحسر لكل مافات ، بل يغتنم ما حصل له في الحال والاستقبال . (٨٦)

رابعاً : مراكز التعليم : وأول هذه المراكز ، الكتاتيب ، لكننا لا نستطيع أن نجزم بوجود كتاتيب اختص بها الشيعة دون غيرهم من سائر المسلمين ، ولعل السبب الرئيسى لذلك أن المادة الأساسية للتعليم على هذا المستوى كانت تدور حول القرآن الكريم وهو القاعدة المشتركة بين مختلف الملل والنحل والمذاهب الإسلامية . كذلك فإن التعليم بهذه المرحلة كان يتركز أيضا حول اللغة العربية قراءة ونحوا ، وهذا الجانب أيضا لا خلاف عليه بين المذاهب الدينية لكن ذلك لا يمنع وجود تعليم على هذا المستوى بصورة فردية خاصة في بعض بيوت الشيعة ، فالإمام الصادق أو كل تعليم أولاده لمؤدب ، وكان أبو داود سهل بن محمد الشاعر مؤدب سيف الدولة ابن حمدان ، وكان محمد بن الحسين الذى عرف فيما بعد بالشريف

الرضى قد أحضر إلى ابن السيرافي النحوى وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد يوما معه في الحلقة فذاكره بشئ من الإعراب على " عادة التعليم ." .(٨٧)

ودأب الأئمة وعلماء الشيعة على تعليم أتباعهم في المساجد ، ومن شيوخ الشيعة الذين تولوا التعليم في المسجد أبان بن تغلب الجريرى ، قال الباقر (ع) لابان "اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أحب أن يرى في شيعتى مثلك ". وكان عبد الله العبدى " قارئا يقرئ في مسجد الكوفة ، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا ". روى الصدوق أن على بن العباس قال " حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان وحدثنا على ابن أحمد بن عبد الله البرقي وعلى بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة .. " وذات مرة قال الفضل بن شاذان " كنت في قطيعة الربيع في مسجد الربيع أقرأ على مقرئ " .(٨٨)

ويعتبر مسجد الكوفة في مقدمة المراكز التعليمية التى تمثل طاقة إشعاع لنهج الإمام على حتى أصبح مجمع أهل العلم من الشيعة باعتباره من أهم المواقع ، فالكوفة حاضرة خلافة الإمام ومهد شيعته وشيعة أبنائه من بعده ، فلا غرو إذن أن تكون موطنا لعلماء الشيعة ، وأن يكون المسجد هو المكان الذى يقومون فيه بتعليم وتدريس علوم آل البيت ، ولهذا يقول الحسن بن على الوشاء : "إنى أدركت في هذا المسجد – يعنى مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كل يقول : حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام "، ولهذا شهد هذا المسجد الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس ، وكان الكميت الشاعر من أبرز معلمى العراق ، فكان يجلس في مسجد الكوفة لتعليم الصبيان . (٨٩)

وقد اتخذ أئمة الشيعة وشيوخهم منازلهم مكانا للدرس والتعليم فكان منزل الإمام على بن الحسين يزدحم فيه طلاب العلم والوافدون عليه من كل مكان حيث يلتف حوله طلاب العلم والمعرفة . وكذلك كانت دار الإمام محمد الباقر ، فكان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامى ، وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه .(٩٠) وكانت دار السيد المرتضى دار علم ومناظرة " فكان منزله دارا للضيافة ومدرسة للتعلم والمدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح في رحاله الوافدون من شتى الجهات .. بل إنه جعل للكثير من تلامذته مرتبات منظمة وحبوسا موقوفة عليهم .. " وما كتابه الأمالى إلا مجالس أملاها على طلابه في داره ، ولما فصل الفصيحى من النظامية فإن أفواجا من المتعلمين راحوا يقصدونه في داره ليواصلوا القراءة عليه (٩١).

وظهرت طائفة أخرى من المراكز العلمية سميت بدور العلم وكانت معاهد علمية ذات صلة بالتعليم مستقلة عن المسجد أسسها أفراد من الشيعة كما أسس أفراد من السنة عددا منها كذلك، وقد أصبحت المؤسسات المذكورة تسهم بعملية التعليم بجانب الأمكنة التقليدية أمثال المساجد ، فدور العلم أنسب لوجود الكتب ووسائل المطالعة الأخرى وربما السكنى والعيش فيها من المساجد، ولأن الشيعة لم يكونوا في الغالب أحرارا في تعليم قواعد مذهبم فى المساجد العامة من جهة أخرى . وحتى بعد توفر الحرية النسبية لهم في العهد البويهى أصبحت المساجد غير مناسبة في القرن الرابع الهجرى لأن التعليم أصبح معقدا وقد يكون مصحوبا بجدل ومناقشات تكون سببا في تكدير راحة المصلين في المسجد الذى لم ينشأ في الأصل لغرض تعليمى(٩٢).

خامساً : انتشار العلماء : والعلماء إذا كان من الممكن أن نستخدم بعض التشبيهات البيانية (مصابيح) تشع نور العلم أينما حلت ، وتكاثرهم في مكان ، شاهد هام يمكن من خلاله أن نستدل على مدى حرية الحركة العلمية في الموقع الذى شهد هذا التكاثر ، والبذور الأولى التى ألقاها الإمام كان لابد أن يتواصل نماؤها عبر القرون والأعوام تعطى تقوى وتبث علما وهدى وتربى تلاميذ ينمون بدورهم ليصيروا فيما بعد معلمين وأساتذة يربون تلاميذ آخرين .. وهكذا ولقد كانت النجف الأشرف غنية بالعلماء و المفكرين الذين ربواً اجيالا عديدة كان لها أكبر الأثر في حركة التربية الإسلامية .

ويأتى العلامة الحلى في مقدمة العلماء الذين شكلوا قوى تربوية موجهة ، وخاصة فيما تميز به من قوة الحجة ومتانة المنطق ومنهجية التفكير مما ينعكس واضحا على مؤلفاته ، فله على سبيل المثال (منهاج اليقين في أصول الدين) ، و(الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة) و(نهج الحق وكشف الصدق) .. [٩٣] إلى غير ذلك من المؤلفات التى بثت العديد من الأصول المنهجية والقواعد الفكرية مما يساعده على تصحيح التفكير وبنائه على أسس عقلية .

والسر في نجاح آثاره واستمرارها عقودا عدة دون أن تفقد أصالتها وحيويتها ، بل وتستمر إلى ما هو أبعد زمنا ، أن مدرسته الفكرية ترتكز على الاستقلال في الرأي ، وإعمال العقل والنظر ، قال نفر من أتباع المذاهب : إن العلامة حصر نشاطه العلمى بتأييد مذهب التشيع وصرف كل همه واهتمامه إلى انتصاره على بقية المذاهب ، ووصفه بعضهم بالمتعصب ، وآخر بالمتحامل وثالث بطاغية الشيعة ، وقد جانب هؤلاء الصواب ، فقد

كان الرجل عالما كبيرا لا يميل إلى التعصب، يعشق البحث عن الحقيقة (٩٤)

ومن العلماء أيضا : الشيخ مرتضى الأنصارى . ويستطيع العارف الخبير أن يدرك من النظرة الأولى إلى كتبه أنه لم يكن عظيما تميز بالحفظ وقوة الذاكرة فقط، بل كان عظيما أيضا لشخصيته المستقلة التى لا تعتمد على غيرها ويعتمد عليها الغير ، ولفكره الناقد الذى كان يتصدى بجرأة للقدماء والمحدثين ، متفرقين ومجتمعين ، وقد تخرج عليه أكثر الفحول مثل الميرزا الشيرازى ، والميرزا حبيب الله الرشتى ، والسيد حسين الترك ، والشربيانى ، والمقمقانى ، والميرزا أبو القاسم صاحب الهداية ، وانتشر تلاميذه ، وذاعت آثاره في الآفاق ، وعاش مع ذلك عيشة الفقراء المعدمين ، وقد توفي عام ١٢٨١هـ . (٩٥)

سادساً : النزعة العقلية: ولسنا في حاجة إلى أن نفيض القول في أهمية وضرورة النهج العقلي في عملية بناء الإنسان ، وإنما يكفي هنا أن نشير إلي أهمية هذه القضية في موضوعنا الحالى بصفة خاصة لما يتوهمه كثيرون بكل أسف من تضاد بين الدين والعقل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن تربية الإنسان إنما تفضل بمقدار الجهد المبذول لتربية هذا الجانب الذى يجعل من الإنسان إنسانا، ألا وهو العقل .

ولقد وصل الأمر بالثقة بالعقل إلى الحد الذى جعل الشيعة الإمامية يقولون بالملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع ، على أساس أن كل ما استقل العقل بدركه ، وحكم بمدح فاعله أو ذمه فلابد أن يكون حكم الشارع على طبقه ، ولا يمكن أن يخالفه بأى حال من الأحوال سواء كان المدرك من الأصول أو الفروع ، فالعقل على هذا الوجه دليل مقرر للأحكام الشرعية

كالكتاب والسنة على حد سواء ، ويستحق من أطاعه المنح والثواب أو الذم والعقاب من الله تعالى لأنه رسوله الباطن إلى الناس كافة ، والحجة بينه وبين عباده ، ولا يخفى أن هذا الوجه يتمشى مع كل القائلين بالملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع من مسلمين وغيرهم . (٩٦)

ومما ذكره القاسم الرسى (المتوفي عام ٢٤٦هـ) أن الله خلق عباده المكلفين لعبادته ، والعبادة على ثلاثة وجوه / أولها : معرفة الله . والثانى : معرفة مايرضيه وما يسخطه ، والوجه الثالث : اتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه . وقد احتج المعبود على العباد بثلاث حجج : العقل والكتاب والرسول، بحجة العقل يعرف به المعبود، وبحجة الكتاب تتم معرفة التعبد ، وجاءت حجة الرسول بمعرفة العبادة ، والعقل أمل الحجتين الأخيرتين لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما ، ثم يأتي الإجماع حجة رابعة مشتملة على جميع الحجج الثلاث وعائدة إليها. (٩٧)

وأكد يحيى بن الحسين ، الملقب بالهادى إلى الحق (٢٤٥ - ٢٩٨هـ) على حرية إرادة الإنسان بأدلة عقلية ، بالإضافة إلى الأدلة النقلية ، ومن أدلته العقلية أن الأعمال جميعا لو كانت بقضائه وقدره وأنه سبحانه شاءها وأرادها ، لما كان بين الطاعة والمعصية فرق ، ولكان من عمل شيئا من الفعلين فهو لله مطيع ولإرادته منفذ ولمشيئته مؤد. ولو أن الله قضى على قوم بالمعصية لا يقدرون عمل غيرها ، وقضى على آخرين بالطاعة له وبالعمل بما يرضيه ، فإلى من أرسل الأنبياء وإلى من دعوا ومن خاطبوا وعلى من احتجوا ، وما وجه حاجة العباد إليهم وقد أرسلهم الله إلى قوم قد منعهم من طاعته. (٩٨)

والثقة بالعقل تعطى العمل التربوى مددا بغير حدود إذ أنها تلقى

مسؤولية كبرى على عمل الإنسان وسلوكه ومما يقتضى إعدادا وتكوينا وتنشئة سليمة .

وماذا بعد ؟

إن الناظر إلى الواقع المعاصر لمجمل الشعوب الإسلامية لابد أن تفزعه الصورة التى أصبحت عليها ، وليس من المعقول بأى حال من الأحوال أن تتجمع بين أيدينا تلك الثروة الفكرية الهائلة من كتاب وسنة وأعمال فكرية وجهود عملية لمسنا أمثلة لها لدى الإمام العظيم على بن أبى طالب ومن سار على دربه على طريق الحق ، دون أن يستنفرنا هذا لمعاودة النهوض وتجاوز الواقع بكل ما يحمله من مرارة ، واستيعاب خبرة الماضى بكل ما تحمله من سلبيات أو إيجابيات .

والمتأمل في قوله عز وجل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يجد أنها تقول له : لابد لك ، لكى تغير الواقع ، من أن تغير نفسك من الداخل ، من خلال تغيير تصوراتك وأفكارك ومشاعرك تجاه القضايا التى تواجهك ، أو الأشياء التى تحيط بك ، أو الأشخاص الذين يعيشون معك ، وقد حاول الإسلام أن يضع للإنسان منهجا تربويا تغييريا ، يخطط فيه للإنسان المنهج الذى يواجه فيه الكون بدقة وتأمل ، ليواجه – من خلاله – الله ، بوعى ومعرفة ، ليلتقى – على أساس ذلك – بالمسؤولية العامة عن الحياة والإنسان من خلال المفاهيم الكبيرة ، والشريعة الواسعة الممتدة في كل مجال من مجالاته العلمية ، ليلتقى التغيير الفكرى بالتغيير العملى ويحقق الصياغة الإسلامية الجديدة للإنسان على صورة الحق[٩٩].

ولكن .. إذا كانت الحياة تبدأ من الداخل ، في عملية انطلاق وامتداد ، فقد يحدث أن يخضع الداخل لتأثيرات الضغوط الخارجية للبيئة وغيرها ،

كنتيجة طبيعية لتأثر الإنسان نفسيا وفكريا بما يحدث حوله، ولذلك حاول الإسلام أن يحيط الواقع الحياتى للإنسان المسلم بالعناصر الرادعة التى تحارب الانحراف من جهة ، وتخفف الضغط على الداخل من جهة أخرى وبذلك كان الاتجاه الإسلامى منطلقا نحو الداخل ليبنى القاعدة النفسية للإنسان، كما كان الردع الخارجى، طريقة من طرق حماية القاعدة وتقويتها. (١٠٠)

إن هذا المنطق هو الذى يجعلنا نستجيب استجابة تقوم على الإيمان والاقتناع بتلك الدعوة التى أطلقها بعض العلماء والمفكرين بالعودة إلى الذات، حيث يعنى بها العودة إلى الثقافة الإسلامية والايديولوجية الإسلامية، وإلى الإسلام لا كتقليد أو وراثة أو نظام عقيدة موجود بالفعل فى المجتمع، بل إلى الإسلام كايديولوجية وإيمان بعث الوعى وأحدث المعجزة بالفعل فى هذه المجتمعات، ليس الأمر فى الحقيقة استنادا إلى دين موروث أو إحساس روحانى جاف، على أساس شعار المفكرين الذى طرح على المستوى العالمى، وعلى أساس تلك القضية التى تناولها مؤلف كتاب (المسيح يصلب من جديد)، وكما رفع نفس الشعار إيما سيزار فى أمريكا اللاتينية، وفرانز فانون مواطن جزر الأنتيل. (١٠١)

والمسألة بهذه الصورة إنما هى على درجة كبيرة من العموم تحتاج معه إلى تضافر الجهود لقدر من التحديد الذى يشير إلى مسارات العمل والتنفيذ، فهل هذه الذات هى ذات دينية، هل هى ذات إسلامية، أى إسلام؟ وأى مذهب؟ نحن نعلم أن هذه الذات الثقافية عندنا ذات تجلت فى العالم كذات عظيمة عن طريق جامعاتنا الموجودة فى الألف سنة الأخيرة وفى آدابنا طوال الألف سنة الأخيرة وعن طريق مفاخرنا وتاريخنا وحضارتنا ومواهبنا واستعدادتنا المتنوعة من عسكرية ورياضية وعلمية وفلكية وأدبية وعرفانية فى هذه الألف ومائة سنة الأخيرة، بحيث أستطيع أمام أى أوربى

ينتسب إلى عصر النهضة أن أقول له : إننى فرد منتسب إلى ثقافة إسلامية عظيمة وهؤلاء البشر، وهذه الشخصيات، وهذه الحضارة والشخصية وهذا الاستعداد للتوالد والخصب والمواصلة فى وفى حضارتى، لكن المهم هو : أى إسلام؟ وأي مذهب؟ هل هو ما هو موجود الآن؟ هل هو ما هو موجود الآن فى صميم المجتمع بصورة تكرارية وعفوية ؟ إن العودة إليه من قبيل تحصيل الحاصل. (١٠٢)

فلا بد إذن من معين آخر – غير المفاهيم المادية عن الكون – يستقى منه النظام التربوى، ولا بد من وعى تربوى صحيح ينبثق عن مفاهيم حقيقية للحياة، ويتبنى القضية الإنسانية الكبرى، ويسعى إلى تحقيقها على قاعدة تلك المفاهيم، ويدرس مسائل العالم من هذه الزاوية وعند اكتمال هذا الوعى التربوى فى العالم واكتساحه لكل وعى تربوى آخر، وغزوه لكل مفهوم للحياة لا يندمج بقاعدته الرئيسية، يمكن أن يدخل العالم فى حياة جديدة، مشرقة بالنور عامرة بالسعادة .(١٠٣)

إن هذا الوعى التربوى العميق هو رسالة السلام الحقيقى فى العالم، إن هذه الرسالة المنقذة لهى رسالة الإسلام الخالدة التى استمدت نظامها التربوى – المختلف، عن كل ما نعرفه من أنظمة – من قاعدة فكرية جديدة للحياة والكون.

وقد أوجد الإسلام بتلك القاعدة الفكرية النظرة الصحيحة للإنسان إلى حياته، فجعله يؤمن بأن حياته منبثقة عن مبدأ مطلق الكمال، وأنها إعداد للإنسان إلى عالم لا عناء فيه ولا شقاء، ونصب له مقياسا خلقيا جديدا فى كل خطواته وأدواره، وهو : رضا الله تعالى. فليس كل ما تفرضه المصلحة الشخصية جائز، وكل ما يؤدى إلى خسارة شخصية فهو محرم غير مستساغ، بل الهدف الذى رسمه الإسلام للإنسان فى حياته هو الرضا

الهـــوامش

١- عبد الرحمن الشرقاوى : على أمام المتقين ، القاهرة ، مكتبة غريب ، د. ت، ص١٢

٢- المرجع السابق، ص١٣.

٣- المرجع السابق ، ص١٤.

٤- المرجع السابق ، ص١٥.

٥- المرجع السابق، ص١٧.

٦- عباس محمود العقاد : عبقرية الإمام ، القاهرة ، دار المعارف (العدد ١١٣) ، ص٦.

٧- المرجع السابق ، ص٧ .

٨- المرجع السابق ، ص٨.

٩- المرجع السابق، ص١٢.

١٠- المرجع السابق، ص١٥.

١١- المرجع السابق ، ص١٦.

١٢- عباس محمود العقاد: فاطمة الزهراء والفاطميون ، القاهرة ، كتاب الهلال (العدد٢٧) . دار الهلال ، ، يونية ١٩٥٣ ،ص٣١ .

١٣- المرجع السابق، ص٤١.

١٤- المرجع السابق ، ص٢٤ .

١٥- عباس محمود العقاد : أبو الشهداء ، الحسين بن على . القاهرة، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال (٤) ، يولية ١٩٥١، ص٣٩ .

١٦- المرجع السابق، ص٤١ .

١٧- المرجع السابق، ص٢٤ .

١٨- محمد مهدى شمس الدين : حركة التاريخ عند الإمام على ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥، ص٢٥ .

obeikan.com

١٩- المرجع السابق ، ص٢٦ .

٢٠- المرجع السابق ، ص٤٩ .

٢١- المرجع السابق، ص٥٠ .

٢٢- محمد مهدى شمس الدين : دراسات في نهج البلاغة ، بيروت ، الدار الإسلامية ، ١٩٨١، ص٣٢.

٢٣- المرجع السابق، ص٤٤ .

٢٤- المرجع السابق ، ص٤٦.

٢٥- محمد باقر الصدر : موجز في أصول الدين ، مطابع صوت الخليج ، د.ت، ص٨٨ .

٢٦- الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، د.ت ، جـ٦، ص٣٧٩ .

٢٧- علاء الدين السيد أمير محمد القزوينى . الفكر التربوى عند الشريعة الامامية ، الكويت، مكتبة الفقيه ، ١٩٨٦، ص١٥٦.

٢٨- ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، مطبعة المأمون ، د. ت ، جـ١، ص٦٥

٢٩- الفكر التربوى عند الشيعة الأمامية ، ص١٥٩ .

٣٠- على محمد الحسين الأديب : منهج التربية عند الإمام على ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٩، ص٣٣ .

٣١- المرجع السابق ، ص٣٤ .

٣٢ الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، ص١٤٩ ،

٣٣- المرجع السابق ، ص١٥٠ .

٢٤- منهج التربية عند الإمامية ، ص٣٦ .

٣٥- المرجع السابق ، ص٣٧ .

٣٦- المرجع السابق ، ص٤٣ .

٣٧- المرجع السابق، ص٤٨ .

٣٨- الفكر التربوى عند الشيعة الأمامية ، ص١٦٢ .

٣٩- المرجع السابق، ص ١٦٣ .

٤٠- باقر شريف القرشى : النظام التربوى في الإسلام ، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات . ١٩٧٩، ص٨٣ .

٤١- الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، ص١٨٩ .

٤٢- الشيخ محمد تقى فلسفى ، الطفل بين الوراثة والتربية ، بيروت ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ١٩٦٩، جـ٢، ص١٥٤ .

٤٣- المرجع السابق، ص١٦٣ .

٤٤- المرجع السابق ، ص١٨٢ .

٤٥- دراسات في نهج البلاغة ، ص٥٢.

٤٦- حركة التاريخ عند الإمام على ، ص٤٠, ٤٢ .

٤٧- المرجع السابق، ص٤٣ .

٤٨- المرجع السابق، ص٤٤.

٤٩- أحمد أمين : التكامل في الإسلام ، بيروت ، دار المعرفة ، د. ت ، جـ١، ص١٣٥ .

٥٠- الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، ص ١٨٢ .

٥١- المرجع السابق، ص١٨٥ .

٥٢- التكامل في الأسلام ، جـ١، ص٤٣.

٥٣- البقرة / ١٧٠ . ٥٤- المائدة / ١٠٤ .

٥٥- محمد باقر الصدر : المدرسة الإسلامية ، بيروت ، دار الزهراء ، ١٩٨٥ ، ص١٢٦.

٥٦- الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، ص١٧٦ .

obeikan.com

٥٧- سعيد إسماعيل على : العقلاقة بين التربية والفلسفة من منظور الأعتزال، في: دراسات فلسفية ، تصدير ابراهيم مدكور ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦، ص١١٤.

٥٨- الفكر التربوى عند الشيعة الأمامية ، ص١٧٧.

٥٩- محمد أبو زهرة : الأمام الصادق ، القاهرة ، دار الفكر العربى، د. ت، ص١٤١

٦٠- محمود حب الله : موقف الإسلام من المعرفة ، في : محمد خلف الله : الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢، ص ٣٦ .

٦١- السيد أمير على : روح الإسلام ، ترجمة محمود أمين الشريف القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ص٦٣.

٦٢- محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، بيروت ، المؤسسة العربية ، ١٩٧٢، ص٢٠ .

٦٣- علاء الدين سيد أمير محمد القزوينى : الشيعة الأمامية ونشأة العلوم الإسلامية ، القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٨٦، ص٣٥.

٦٤- المرجع السابق ، ص٦٦ .

٦٥- حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٤٨، ص٥١٤ .

٦٦- الشيعة الإمامية ونشأة العلوم الأسلامية ، ص٩٥ .

٦٧- حركة التاريخ عند الإمام علي ، ص٨٢ .

٦٨- المرجع السابق ، ص٨٦.

٦٩- أحمد أمين : التكامل في الإسلام ، جـ٢، ص٤١٢ .

٧٠ المرجع السابق ، ص٤١٧ .

٧١- المرجع السابق، ص٤١٨ .

obeikan.com

٧٢- عباس محمود العقاد : عبقرية الأمام على ، ص ١٤٠ ،

٧٣- المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

٧٤- السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى : الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، بيروت ، دار الزهراء ، ١٩٧٧ ، ص١٧ .

٧٥- المرجع السابق ، ص٢٣ .

٧٦- محمد أبو زهرة : الإمام الصادق ، ص٩٣ .

٧٧- المرجع السابق، ص٩٤ .

٧٨- المرجع السابق، ص٩٥ .

٧٩- المرجع السابق ، ص٩٩ .

٨٠- المرجع السابق ، ص١٠٠.

٨١- أحمد عبد الغفور عطار . آداب المتعلمين ، ورسائل أخرى في التربية الإسلامية ، بيروت د. ن ، ص١٤٤ .

٨٢- المرجع السابق ، ص١٤٥

٨٣- المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

٨٤- المرجع السابق ،ص ١٤٨ .

٨٥- المرجع السابق ، ص١٥١ .

٨٦- المرجع السابق ، ص١٥٢ .

٨٧- عبد الله فياض . تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى ، بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٢ ، ص٦٣.

٨٨- المرجع السابق ، ص٦٧ .

٨٩ الفكر التربوى عند الشيعة الأمامية ، ص٣٣٣ .

٩٠- محمد أبو زهرة . تاريخ المذاهب الإسلامية ، القاهرة دار الفكر العربى ، د.ت ، ص٦٨٨

obeikan.com

٩١- الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية ، ص٣٤٣ .

٩٢- عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الأمامية ، ص٩٥ .

٩٣- محمد جواد مغنية : مع علماء النجف الأشراف ، بيروت ، دار الجواد ١٩٨٤، ص٣٩ .

٩٤ - المرجع السابق ، ص٤٠ .

٩٥- المرجع السابق ، ص٨٩ .

٩٦- رشدى محمد عرسان : العقل عند الشيعة الإمامية ، بغداد ، مطبعة دار السلام، ١٩٧٣، ص١٨٦ .

٩٨- المرجع السابق ، ص١٦٥ .

٩٩- محمد حسين فضل الله : الإسلام ومنطق القوة ، بيروت ، الدار الإسلامية ، ١٩٧٩، ص٢٣٠ .

١٠٠- المرجع السابق ، ص٢٣١ .

١٠١- على شريعتى : العودة إلى الذات ، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٦ ، ص٣٦.

١٠٢- لمرجع السابق، ص٥١ .

١٠٣- محمد باقر الصدر . المدرسة الإسلامية ، ص٨٨ .

١٠٤- المرجع السابق ، ص٨٩.

obeikan.com